

الأسد والثور

بقلم: د. عبد الحميد عبد القصور

بريشة: د. عبد الشافي سيد

إشراف: د. حمدي مصطفى



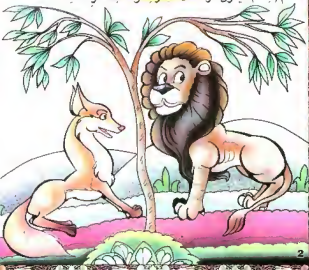
الناشر
المؤسسة العربية للصحة
طريق مصر والكويت
14011 - القاهرة - مصر
تلفون: 111-1111

عاش (بمئة) في صحبة الأسد ، فارتفعت منزلته عنده ، حتى صار
أنيسه وجليسه ، وصديقه ورفيقه ومستشاره في كل كبير وصغير ،
وكل جاد وخطير من الأمور ..

وذات يوم احتكى (بمئة) بالأسد ، فقال له :
- أراك أيها الملك قد فصلت الإقامة في مكان واحد ، ولا تريد
أن ترحله ، فما هو السر في ذلك ؟

وقبل أن يجيب الأسد على سؤال (بمئة) خار الثور (شيرة)
خواراً شديداً من مكانه في العرج الأخضر القريب ، فارتعدت
مفاصل الأسد وخاف خوفاً شديداً (لأنه لم يكن قد سبق له رؤية
ذلك الثور ، أو سماع صوته) ..

لكبه تعالك نفسه ، حتى لا يظهر خوفه من ذلك الوحش الغريب
أمام (بمئة) فيكون عرضة لاحتقار ، واستصغار شأنه ..



لَكِنْ (بِئْسَ) كَانَ قَدْ لَاحَظَ بِفِعْلِنْتَهُ أَنَّ صَوْتِ النَّوْرِ قَدْ أَفْرَعَ
الْأَسَدَ ، وَاتَّخَلَ الرَّغْبَ فِي قَلْبِهِ .. فَاتَّخَذَتْ إِلَى الْأَسَدِ قَاتِلًا فِي أَنْتَبَ :
- هَلْ ظَنَنْتَ أَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتُ يُمْكِنُ أَنْ يُخِيفَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟
فَقَالَ الْأَسَدُ فِي خَجَلٍ :

- مَا ظَنَنْتُ أَنَّ صَوْتًا يُمْكِنُ أَنْ يُخِيفَ مِثْلَ ذَلِكَ الصَّوْتِ ..

فَقَالَ (بِئْسَ) فِي أَذْنٍ :

- لَيْسَ خَلِيقًا بِمِثْلِكَ مُهَابَ مِثْلِكَ أَنْ يَتْرَكَ مَكَانَهُ ، وَيَرْحَلَ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ
صَوْتِ سَمْعَةٍ .. وَقَدْ قَالَ الْحُكَمَاءُ :

لَيْسَ مِنْ كُلِّ الْأَصْوَاتِ تَجِبُ الْهَيْبَةُ وَالْخَوْفُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- صَدَقْتَ يَا مُسْتَشَارِي النَّاصِحَ الْأَمِينُ ..



وقال (بمئة) :

- إنَّ هذا الصَّوْتُ الَّذِي أَخَافُنَا لَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ ، لَوَجَدْنَا
صَاحِبَهُ أَهْوَنَ وَأَضْعَفَ مِمَّا صَوَّرَهُ لَنَا صَوْتُهُ الْجَهِيرُ ..
فقال الأسدُّ :

- رُبُّمَا .. لَكُنِّي لَا أَجِدُ بِي رَغْبَةً فِي الدُّهَابِ إِلَيْهِ ..
فقال (بمئة) :

- إِنَّ شَبَبْتُ أَيُّهَا الْهَلَكُ بَقِيتَ فِي مَكَانِكَ ، وَأَرْسَلْتُنِي
حَتَّى أَتِيكَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ صَاحِبِ ذَلِكَ الصَّوْتِ ..
فوافق الأسدُّ على اقْتِرَاحِ (بمئة) وَانْطَلَقَ (بمئة) نَحْوَ
ذَلِكَ الْمَرَجِ الْأَخْضَرِ ، الَّذِي يَقِيمُ فِيهِ الثَّوْرُ (شَيْثْرِيَّة)
لِاسْتِبْلَاحِ الْخَبْرِ ..



وَبَدَأَ الْأَسَدُ نَدْمًا شَدِيدًا عَلَى تَسْرُعِهِ فِي إِرْسَالِ (بِمَنْة) إِلَى ذَلِكَ
الشَّخْصِ الْمَجْهُولِ ، صَاحِبِ الصَّوْتِ الْجَهِيرِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
- لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي إِرْسَالِ (بِمَنْة) وَحْدَهُ .. لَقَدْ كَانَ شَخْصًا
وَضِيعًا حَتَّى وَقْتُ قَرِيبٍ ، وَهُوَ ذَاهِيَةٌ أَرِيبٌ .. مَنْ أَذْرَانِي أَنْ يَكُونَ
صَاحِبَ الصَّوْتِ الْجَهِيرِ عَذْوًا لِي ، وَأَنَّهُ لَا يَسْلَمُنِي إِلَيْهِ ؟ مَنْ
أَذْرَانِي أَنَّهُ لَا يَتَحَالَفُ مَعَ عَدُوِّي ضِدِّي ؟ لَقَدْ أَخْطَأْتُ ، وَيَجِبُ أَنْ
أُسْرِعَ بِاصْتِلَاحِ خَطْئِي ، قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ مَا لَا نَحْضُدُ عَقْبَاهُ ..
وَاسْتَعْدُ الْأَسَدُ لِمُغَادِرَةِ مَنْزِلِهِ ، حَتَّى يَلْحَقَ بِ- (بِمَنْة) لَكِنْ
(بِمَنْة) رَجَعَ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَقَالَ لَهُ :

- مَاذَا رَأَيْتَ هُنَاكَ ؟

فَقَالَ (بِمَنْة) :

- رَأَيْتُ ثُورًا هُوَ صَاحِبُ الصَّوْتِ الْجَهِيرِ ، الَّذِي سَمِعْتُهُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- صِفْهُ لِي ، وَصِفْ لِي مَدَى قُوَّتِهِ ..



فَأَخَذَ (دِمْنَةً) يَصِفُ لَهُ الثَّوْرَ وَصَفًا دَقِيقًا ، ثُمَّ خَتَمَ كَلَامَهُ قَائِلًا :

- وَلَقَدْ اقْتَرَبْتُ مِنْهُ وَحَاوَرْتُهُ ، فَلَمْ أَجِدْ لَهُ قُوَّةً تُنَاسِبُ مَعَ صَوْتِهِ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ مُسْتَعْجِلًا :

- لَا يَغُرُّكَ ذَلِكَ مِنْهُ ، طَالَمَا أَنَّكَ لَمْ تَحْتَبِرْ قُوَّتَهُ .

وَقَالَ (دِمْنَةً) :

- لَا تَهَابِنِ مِنْهُ شَيْئًا أَيُّهَا الْمَلِكُ .. أَنَا أَتَيْكَ بِهِ إِلَى هُنَا

لِيَكُونَ لَكَ غَبْدًا مُطِيعًا ، وَخَادِمًا سَمِيعًا ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- اذْهَبْ وَأَخْضِرْهُ ..



انطلق (بمئة) إلى الثور (شيرة) وقال له :

- لقد أرسلني الأسد إليك لأدعوك للذهاب إليه .. وقد أمرني أن
أؤمّنك على نفسك ، إذا عجلت بالذهاب إليه ، أما إذا تأخرت عن
الذهاب إليه ، فسوف أعود إليه وأخبره بذلك ، ووثقها لا تؤمن
إلا نفسك ..

فقال (شيرة) متعجبًا :

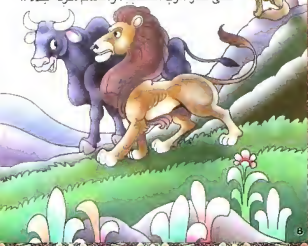
- ومن يكون ذلك الأسد ، الذي أرسلتك إلي ؟

فقال (بمئة) :

- هو ملك الوحوش والسباع ، ولديه جندٌ خطيرون وأغوان
كثيرون ..



فَشَغَرَ الثَّوْرُ (شُتْرِبَةً) بِالْخَوْفِ يَسْتَرِي فِي أَوْصَالِهِ وَقَالَ لَهُ :
 - إِذَا أَنْتَ أَغْطَيْتَ لِي الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي ذَهَبْتُ مِنْكَ ..
 فَأَعْطَاهُ (دَمْنَةً) الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ (شُتْرِبَةً) الْعُيُودَ
 وَالْمَوَاتِيقَ عَلَى ذَلِكَ .. ثُمَّ انْطَلَقَ مَعَهُ إِلَى الْأَسَدِ ..
 فَاحْتَسَنَ الْأَسَدُ إِلَى الثَّوْرِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ احْسَنَ اسْتِقْبَالٍ ..
 ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، وَمَا الَّذِي أَتَى بِهِ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ..
 فَقَصَّ عَلَيْهِ (شُتْرِبَةً) قِصَّةً مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ ..
 فَأَعْجَبَ الْأَسَدُ بِشَجَاعَتِهِ وَقُرْبَةِ إِلَيْهِ .. ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 - اصْحَبْنِي وَسَوْفَ أَكْرَمَكَ وَتَجِدُ عِنْدِي مَا يَسُرُّكَ ..
 فَشَكَرَهُ الثَّوْرُ ، وَأَقَامَ بِجَوَارِهِ مُلَازِمًا لَهُ فَكَرَّمَهُ الْأَسَدُ
 وَانْتَمَنَهُ عَلَى أَسْرَارِهِ ، وَجَعَلَهُ مُسْتَشَارَهُ الْخَاصَّ ،
 حَتَّى صَارَ أَقْرَبَ اصْحَابِهِ ، وَأَعْلَاهُمْ مَقَرَّةً عِنْدَهُ ..



ولما رأى (بمنة) أن الأسد قدّم الثور عليه ، وعلى جميع أصحابه ، واحتصه برأيه ومشورته وأسراره ، غاظه ذلك غيظاً شديداً ، وحسده حسداً عظيماً ، فذهب إلى أخيه (كلبلة) وشكا إليه قائلاً :

- هل رأيت يا أخى ما حدث ؟ لقد أزدت نفخ الأسد وأعفلت نفخ نفسه .. لقد جلبت له ثوراً استأثر بكل شيء ، واحتل منزلي ، فأصبح مستشاره وكاتم أسراره .. فقال (كلبلة) :

- وعلى أى شيء غرمت يا أخى ؟



فَقَالَ (دِمْنَةُ) :

- كُلُّ مَا أَرْجُوهُ هُوَ أَنْ أَحْتَالَ لِأَكْلِ الْعُشْبِ هَذَا ، حَتَّى أَفَرِّقَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْأَسَدِ ، حَتَّى تَعُودَ إِلَى مَنْزِلَتِي الرَّفِيعَةِ ، وَأَعُودَ إِلَى سَابِقِ
عَهْدِي عِبْدَهُ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَفَرِّقَ بَيْنَ الثَّوْرِ وَالْحَيَاةِ يَكُونُ
أَفْضَلُ لِي وَالْأَسَدِ ، حَتَّى لَا يَلْقَى أَحَدٌ بِمُصَاحِبَتِهِ وَمُشَاوَرَتِهِ
غَيْرِي ..

فَقَالَ (كَلِيلَةُ) مُتَعَجِّبًا :

- وَكَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى الثَّوْرِ ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ قُوَّةً ، وَأَشَدُّ
أَعْوَانًا ، وَأَكْثَرُ جُنْدًا ، وَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ

بِحِمَايَةِ الْأَسَدِ ؟

فَقَالَ (دِمْنَةُ) :

- رَبُّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ بَلَّغَ بِحِيلَتِهِ وَنَهَائِهِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ كَثِيرٌ
مِنَ الْأَقْوِيَاءِ ، وَسَوْفَ تَرَى مَا أَنَا فَاعِلٌ بِغَدْوِي ..



وتغيب (بمئة) عدة أيام .. ثم انتهز فرصة غياب النور ودخل
على الأسد في مجلسه وانفرد به وحده ، فسأله الأسد قائلاً :
- لماذا تغيبت عن مجلسي كل هذه الأيام .. لعل المنافع أن يكون
خيرًا ..

فقطب (بمئة) جبينه ورسم على ملامحه الحزن .. ثم قال :
- ليس خيرًا أيها الملك ، وإنما هو شرٌ خطيرٌ يراد بك ..
ففرغ الأسد وقال :
- ماذا حدث يا بمئة ؟ تكلم ..
فقال (بمئة) في دهاء :



- حَدَّثَنِي صَدِيقِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ عَيْدِي ، أَنَّ الثَّوْرَ (شَبْرَبِيَّة) قَدْ
اجْتَمَعَ بِقَادَةِ جَنْدِكَ سِرًّا ، وَرَاحَ يَصِفُكَ بِالضَّعْفِ وَالْجُبْنِ ، وَأَنَّهُ
عَازِمٌ عَلَى قِتَالِكَ وَقَتْلِكَ ، وَالْإِنْفِرَادِ بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِكَ .. وَأَنَا اعْتَقِدُ
أَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حِينَ تَرَبُّنْتَهُ مَعَكَ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى اسْتِرَاكِ
وَمَنَاطِقِ ضَعْفِكَ ، وَلِذَا طَمَعَ فِي إِزَاحَتِكَ وَالْإِنْفِرَادِ بِالْمَلِكِ مِنْ
بَعْدِكَ ، وَمَعَهُ قَادَةُ جَنْدِكَ ..

فَاغْتَمَّ الْأَسَدُ غَمًّا شَدِيدًا ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفُ
مِنَ الثَّوْرِ وَقَادَةِ الْجُنْدِ ، وَآخَذَ (دُمْنَةً) يُخَوِّفُهُ مِنَ الثَّوْرِ
وَيُخَرِّضُهُ ضِدَّةً ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- وَبِمَاذَا تُشِيرُ عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاصِحُ الصَّدُوقُ ؟



فَقَالَ (دُمْنَةُ) :

- يَجِبُ أَنْ تَسْتَعِدَّ لِلِقَاءِ غَدُوكَ ، فَإِنْ (شِبْرِبَةُ) قَدْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ
فِي آيَةٍ لِحَظَةٍ وَأَنْتَ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لَهُ ، فَيَحْدُثُ مَا لَا تُحَمَدُ عُقْبَاهُ ..
فَقَالَ الْأَسَدُ :

- وَمَنْ أَدْرَانِي أَنَّهُ حَقًّا يَرِيدُ بِي شَرًّا ، كَمَا تَزْعُمُ ؟

فَقَالَ (دُمْنَةُ) :

إِنْ عَلَامَةُ ذَلِكَ أَنَّ تَرَى لَوْنَهُ مُتَغَيِّرًا ، وَتَرَى أَوْصَالَهُ
تُرْتَعِدُ ، وَتَرَاهُ يَهْرُ قَرْنَيْهِ وَيَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ مِنَ الْغَضَبِ ..
فَإَيُّقِنُ الْأَسَدُ أَنَّ (دُمْنَةَ) لَمْ يَخْذَعْهُ ، وَبَدَأَ يَسْتَعِدُّ لِلِقَاءِ
النَّوْرِ ..



وَانْطَلَقَ (بِمَنْةٍ) لِلِقَاءِ (شَيْثِرِيَّةٍ) فَلَمَّا رَأَتْ رَحَبَ بِهِ وَسَأَلَتْهُ عَنْ سَبَبِ
انْقِطَاعِهِ عَنْهُ طَوَّالَ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ لَهُ :

- مَا مَنَعَنِي عَنْكَ إِلَّا شَرُّ يَرِيدِهِ الْأَسَدُ بِكَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَحَاوِلُ قُدْرَ
جَهْدِي نَفْعَ هَذَا الشَّرِّ عَنْكَ ، فَلَمَّا لَمْ أَفْلَحْ أَتَيْتُ لِأَحْذَرِكَ ، حَتَّى تَكُونَ
مُسْتَعِدًّا لِلِقَاءِ عَدُوِّكَ ..

فَوَقَعَ الْخَوْفُ فِي نَفْسِ (شَيْثِرِيَّةٍ) وَقَالَ :

- الْأَسَدُ يَرِيدُ قَتْلِي ؟

فَقَالَ (بِمَنْةٌ) فِي حَزْنٍ مُصْطَفِعٍ :

- لَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ يَتَغَذَّى بِكَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي
قَدْ أَعْطَيْتُكَ عَهْدًا بِالْأَمَانِ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَوْلَا هَذَا الْعَهْدُ
مَا جِئْتُكَ ، حَتَّى تَأْخُذَ حَبْرَكَ وَأَخْطُو مِنْ ذَنْبِكَ ..



وَقَالَ (دُمْنَةُ) يُوعِزُ صَنْدَرُ الثَّوْرِ وَيَحْرَضُهُ عَلَى الْأَسَدِ ، حَتَّى وَقَعَ
الْخَوْفُ وَالْغَضَبُ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْأَسَدِ ، وَهُوَ الَّذِي ظَنَّ أَنَّ الْأَسَدَ
صَدِيقَهُ الصَّدُوقُ ، فَكَيْفَ يَغْدِرُ بِهِ ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْمَصَائِدَ وَالْمَكَايِدَ ؛
حَتَّى يَفْتَالَهُ ، وَيَتَغَذَّى عَلَيْهِ ١٧

فَقَالَ (شَيْثَرِيَّةُ) :

- لَنْ أَشْرَعَ فِي قِتَالِ الْأَسَدِ ، حَتَّى أَرَى غَرَّةَ وَمَكْرَهُ ، وَمَا اسْتَوَاهُ لِي
مِنْ شَرٍّ ، وَمَا دَبَّرَ لِي مِنْ مَكْرٍ ..

وَقَالَ (دُمْنَةُ) مُحَرِّضًا :

- اذْهَبْ إِلَيْهِ وَسَتَرَى بِنَفْسِكَ عَلَامَاتَ ذَلِكَ ..

فَقَالَ (شَيْثَرِيَّةُ) :

- مَا هِيَ عَلَامَاتُ ذَلِكَ ١٨



فَقَالَ (دِمْنَةُ) :

- سَتَرَى الْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ جَالِسًا عَلَى ذَيْلِهِ ، رَافِعًا صَنْدَرَهُ ،
مُرْهِفًا أُذُنَيْهِ لِلَسْمُوحِ ، مَاذَا بَصَرُهُ الْحَادُّ نَحْوَكَ وَقَدْ ضَلَّاهُ الْغَضَبُ
مَيْتَكَ ..

وَهَكَذَا نَصَبَ (دِمْنَةُ) شَيْبَاكَ مَكْرَمٍ وَنَهَانَهُ حَوْلَ الصُّبُحَيْنِ الْخَمِيمَيْنِ
الْمُتَحَابَّيْنِ ، فَأَوْقَعَ بَيْنَهُمَا الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَالْقَطِيعَةَ وَالشُّحْنَاءَ ..
فَلَمَّا دَخَلَ الثَّوْرُ عَلَى الْأَسَدِ ، تَحَقَّقَ كُلُّ مَبْهُمَا مِنَ الْعَلَامَاتِ
الَّتِي ذَكَرَهَا (دِمْنَةُ) فَوَثَبَ كُلُّ مَبْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، مُحَاوِلًا قَتْلَهُ ،
وَعَلَا يَتَقَاتِلَانِ قَهْرًا مِنَ الْوَقْتِ ، فَأَصِيبَ كُلُّ مَبْهُمَا بِجُرُوحٍ
خَطِيرَةٍ .. وَفِي النِّهَايَةِ وَثَبَ الْأَسَدُ عَلَى الثَّوْرِ وَثَبَةً قَوِيَّةً فَقَتَلَهُ ..
وَجَلَسَ الْأَسَدُ يَتَكَبَّرُ حَزِينًا عَلَى فَقْدِ أَعْرَاضِهِ ، وَأَخْلَصَ
أَعْوَانَهُ وَمُسْتَشَارِيَهُ ..

تَمَّتْ

الكتاب القادم :

دِمْنَةُ مُجْرِمًا

د. محمد عبد الله

الطبعة الأولى : ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

